# المحاضرة الرابعة الأمثال والحكم

## 01- تعريف المثل:

المثل مأخوذ من قولك هذا مثل الشيء ومثله أي شبهه، ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلا، وفي العبرية كلمة مثل بمعنى الحكمة السائرة والحكاية القصيرة ذات المغزى والأساطير.

والمثل يعرف بأنه قول سائر شبّه مضربه بموردِه، أو قُل شبّه فيه حال المقول فيه ثانيا بحال المقول فيه أولا. ويمتاز المثل بشهرته وإيجازه ودقة معناه وإصابة الغرض المنشود منه وصدق تمثيله للحياة العامة ولأفكار الشعب على وجه الخصوص، وهو يكسب الكلام سحرا وروعة وجمالا وبلاغة، وهي وسيلة للنقد والسخرية، والأمثال أصدق شيء يتحدث عن أخلاق الأمة وتفكيرها وعقليتها وتقاليدها وعاداتها، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتمَّ تصوير، وهي مرآة للحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية، والأمثال إما حقيقية أو فرضية، فالحقيقية لها أصل وقائلها غالبا معروف. والفرضية ما كانت من تخيّل أديب ووضعها على لسان حيوان أو جماد أو ما شاكل ذلك.[1]

والأمثال لا تتغيّر وإن كانت تخالف نظام التصريف والنحو فإن الكثرة لا تشذّ على هذا النظام، بل إن طائفة منها تدخل في الصياغة الجاهلية البليغة إذ نطق بها بعض بلغائهم وفصحائهم من أمثال أكثم بن صيفي وعامر بن الظَّرب[2]

وهو ما يؤكد أن المثل ضارب في بواطن شبه الجزيرة العربية، اصطبغ بعاداتهم ونمط تفكيرهم ولسان حالهم، وهذا ما اتضح في كتب القدامى والمتقدمين، الذين أسهبوا في شرح وتفسير المثل منذ القرن الرابع الهجري.

## 02- ميزات الأمثال العربية:

الأمثال علم منفرد عرفه الجاهلي وجعله سائرا على ألسنة، يتصف بمزايا تعكس رؤيته الفكرية السطحية وأحواله النفسية والاجتماعية، ومن أهم خصائصها في العصر الجاهلي قلة

---

[1] – ينظر: محمد عبد المنعم خفّاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص148، 149.

[2] – ينظر: سامي يوسف أبو زيد، تذوق النص الأدبي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص180، 181، 182، 183، 184، 185.

الألفاظ وإصابة المعنى، وكذا خلّوها من الزخرف اللفظي والتكلف فضلا على سلاسة العبارة وحسن السبك، والإيجاز اللغوي وفي هذا يقول أبو هلال العسكري: «ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرّف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جلّ أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ؛ ليخفَّ اِستعمالها، ويسهل تداولها؛ فهي من أجل الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلّة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها»[3]، فهي على هذا النحو جمل قصيرة وجيزة تدل على صحة الرأي وصدق الاختبار. وربما نشأ المثل من لفتة لشاعر في بيت شعري أو من برقة فكر لرجل في أثناء حديث فوافق ما ألفه الناس في حياتهم فأصبح قاعدة في سلوكهم الإنساني[4] وأصبح من خصائصه الفنية كثرة الفواصل والموازنة وقلّة الصناعة اللفظية.

03- نماذج من الأمثال:

03-1. أمثال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:[5]

قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمن كالخامة من الزرع: يقلبها الريح مرّة كذا ومرّة كذا. ومثل الكافر مثل الأَرَزَة المجذية على الأرض، يكون اِنجعافها بمرّة.

وقال حين ذكر الغلو في العبادة: إن المُنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهرا أبقى.

وقال ﷺ: إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء.

وذكر الرِّبا في آخر الزمان، وافتتان الناس به، فقال: من لم يأكله أصابه غُباره.

وقال: الإيمان قيدَ الفَتْكَ.

---

[3] – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: جمهرة الأمثال، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه أحمد عبد السلام، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص10.

[4] – ينظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ج1، ص89.

[5] – ينظر: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص4-5.

وقال: إن من البيان لسحراً.

وقال: لا ترفع عصاك عن أهلك.

وقال ﷺ: لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين.

وقال: الحرب خدعة.

03-2. من ضرب به المثل من الناس:[6]

قالت العرب: أسخى من حاتم، وأشجعُ من ربيعة بن مكدَّم، وأدهى من قيس ابن زهير وأعزُّ من كُليب بن وائلٍ وأوفى من السَّموأل. وأذكى من إياس بن معاوية، وأسود من قيس بن عاصم، وأمنعُ من الحارث من سُحبان ابن وائل. وأحلمُ من الحفّ بن قيس.وأصدق من أبي ذر الغفاري.وأكذب من مسيلمة الحنفي وأعيا من باقل وأمضى من سُلَيك المقانب وأنعمُ من خُريمٍ الناعم، وأحمق من هنبقة وأفتكُ من البَرَّاض.

03-3. من يضرب به المثل من النساء:[7]

يقال: أشأم من البسوس وأحمق من دُغة وأمنع من أمِ قرفة وأقود من ظُلمة، وأبصر من زرقاء اليمامة.

البسوس: جارة جساس بن مرّة بن ذُهل بن شيبان، ولها كانت ناقة التي قتل من أجلها كليب بن وائل، وبها ثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب. التي يقال لها حرب البسوس.

وأم قِرفة: امرأة من مالك بن حُذيفَة بن بدر الفزاري، وكان يُعلَّق في بيتها خمسون سيفاً كل سيف منها لذي مَحْرم لها.

ودُغة: امرأة من عجل بن لجيم: تزوجت في بني العنبر بن عمرو بن تميم.

---

[6] -أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص9-10.

[7] -المرجع نفسه، ص10.

وزرقاء بني نُمير: امرأة كانت تُنذر قومها الجيوش إذا غزتهم. فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له حتى احتال لها بعض من غزاهم، فأمر أصحابه فقطعوا شجرا أمسكوه أمامهم بأيديهم، ونظرت الزرقاء فقالت: إني أرى الشجر قد أقبل إليكم، قالوا لها: قد خَرِفت ورق عقلك وذهب بصرك. فكذبوها، وصبَّحتهم الخيل وأغارت عليهم وقتلت الزرقاء. قال: فقوّروا عينيها فوجدوا عروق عينيها قد غرقت في الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به.

03-4. أمثال أكثم بن صيفي وبزرجمهر الفارسي:[8]

العقل بالتجارب. الصاحب مناسِبٌ. الصديق من صدق عينيه. الغريب من لم يكن له حبيب. رب بعد أقرب من قريب. القريب من قَرُب نفعه. لو تكاشفتم ما تدافنتم. خير أهلك من كفاك. وخير سلاحك ما وقاك. خير إخوانك من لم تَخْبُرْهُ. رُبَّ غريب ناصحُ الجيبِ؛ وابن أبٍ متهم الغيب. أخوك من صَدَقَكَ. الأخُ مرآة أخيه. إذا عزّ أخوك فَهُن. مكره أخوك لا بطل.

فالمثل في كل هذا عصارة تجارب أمة تمرّست بها عبر حقبات طويلة من حضارتها، تميّزت بالثبات لتحفظ قيمتها اللغوية والأدبية، وهذا ما أجاز للعرب الخروج عن قواعد النحو مراعاة للسجع أو للضرورة الإيقاعية، أو لصدورها من عامة الناس من لا يأبهون بميزان النحو والصرف.

04- الحكمة

الحكمة قول بليغ موجز صائب يصدر عن عقل وتجربة وخبرة بالحياة ويتضمن حكما مسلما في أمر بخير أو نهي عن شر. وقد كثرت الحكم والحكماء في الجاهلية وكان في كل قبيلة حكيم تفزع إليه في الشدائد والمعضلات والمنافرات والخصومات.

والحكم من البلاغة بمكان كبير لإيجازها ووضوحها وفصاحتها ودقّة معناها وجلال هدفها، وهي تكسب الكلام سحرا وحلاوة، وتجعله مقبولا في الذوق، قريبا إلى القلب، مسلما به من العقل والشعور والوجدان وإذا اِشتهرت الحكمة صارت مثلا.[9]

---

[8] -أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص13.

[9] - محمد عبد المنعم خفّاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص147-148.

ومن الحكم الشعرية:[10]

إذا المرء لم يخزن عليه لسانــه فليس على شيء سواء بخزان

ولست بمستبق أخا لا نلمـــه على شعث أي الرجال المهذب؟

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

ومن لم يذد عن عرضه بسلاحــه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

فالحكمة تأتي مجانبة لمعنى العلم والصواب؛ فهي معرفة الحق والحث على العمل به، وفي بعدها الفني هي ما قلّ لفظه وكثر ماؤه، وفي العصر الجاهلي كان الحكيم نبراس قبيلته، ينير عقولها، ويبصِّر أذهانها، فكان بذلك دوره لا يقلّ عن دور الشاعر، وقديما كانت الحكمة رديفة الفلسفة، لأنها نتاج فكر ثاقب ورأي سديد وبصيرة نافذة.

04-1. نماذج من الحكم الجاهلية

ألقى أكثم بن صيفي – وهو من حكماء وخطباء العرب– خطبة كلها حكم بارعة وأمثال رائعة منها: «يا بنَيَّ الدّهر قد أدَّبني وقد أحببت أن أؤدبكم، وأزوِّدكم أمراً يكون لكم بعدي... يا بنيَّ تَبَارُّوا فإن البِرَّ يُنسِئ في الأجل ويُنمِّي العدد،وكفّوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكَّيه...»[11]

ومن حكم العرب قولهم: مصارع الرجال تحت بروق الطمع. كَلْمُ اللسان أنكى من كلم السنان. رُبّ عجلة تهب رَيْثاً. العتاب قبل العقاب. التوبة. أوّل الحزم المشورة. رُبَّ قول أنفذ من صول. أنجز حرّ ما وعد. أترك الشرّ يتركك. من ضاق صدره اتسع لسانه. يدك منك وإن كانت شلاء. رُبَّ ملوم لا ذنب له. من مأمنه يُؤتى الحذِر.[12]

ومن أشهر حكماء العرب أكثم بن صيفي التميمي، وذو الاصبع العدواني، وعامر بن الظرّب، وقسّ بن ساعدة، وحاجب بن زرارة، وهاشم بن عبد مناف، وعبد المطلب بن هاشم

---

[10] – المرجع نفسه، ص149.

[11] – حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص14.

[12] – أحمد حسين الزيّات: تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة، ص24–25.

وهند بنت الخس، ومن أقدم حكمائهم لقمان المشهور ومن حكمه: رُبّ أخ لم تلده أمك، الصمت حكم وقليل فاعله، آخر الدواء الكي.[13]

05- الخصائص المشتركة بين الأمثال والحكم

تتفق الحكمة والمثل في إصابة معنى يمثل كبد التجربة، من غير أن يركزا على تفاصيل الحادثة، ومن هنا كان الإيجاز وكثافة المعنى خاصيتهما الجوهرية.

اعتمادهما على الإيقاع الناتج عن السجع والجناس أو المقابلات اللفظية والصوتية في حمل الفكرة للتأثير في المتلقي.

- قائلهما مجهول في أغلب الأحيان كونهما فنّان قوليان.
- يتميزان بخاصية فنيّة تحفظ هُويّة كل منهما لا تقبل الزيادة أو النقصان.

06- الفرق بين المثل والحكمة

ما يذكر على المثل أنه شديد الارتباط بتجربته الأم وبتجربة مشابهة، وهو ما يطرح الجمع بين الماضي والحاضر بين (المورد والمضرب)، فهي غير منفصلة عن الأحداث أو الشخصيات أو الأشياء التي ارتبطت بها. أما الحكمة فلا ترتبط بالماضي أو بتجربة ما، فهي تجنح إلى الإطلاق والتعميم.

المثل لا يتغيا الوعظ أو التعليم، وإن أفادت ذلك فإنه في أغلب الأحيان غير مقصود في ذاته، بينما الحكمة تهدف إلى التوجيه والوعظ والإرشاد بشكل مباشر وبغاية مقصودة.

المثل ألصق بأفئدة الناس لأنه يصدر من العامة ويعكس جوانب حياتهم المختلفة بينما الحكمة تصدر من ثلّة عُرِف عنها القول الصائب والعقل الراجح فضلا عن أن الحكمة تميل إلى التجريد في رؤيتها الفكرية؛ وهذا ما يفضي بالضرورة إلى أن المثل يقوم على المماثلة والمقارنة بينما الحكمة لا تذهب في هذا السياق.

---

[13] – محمد عبد المنعم خفّاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص145.

ويبقى المثل أصح نص نثري عكس صورة عصره السياسية والاجتماعية والنفسية، لشيوعه ودورانه على الألسنة وهذا لإيجازه اللغوي وبالتالي أشد علوقا بالذاكرة وأقرب إلى لسان الناس حِفظاً.